التنـاصّ
بين القرآن الكريم
ومستندات واقعة كربلاء

يحيى غالي ياسين

مدخل

" التناصّ اصطلاحًا هو **العلاقة التي تربط نصًّا أدبيًا بنصٍّ آخر ، أو استحضار نص أدبي داخل نص أدبيّ آخر ، وهو مُرتبط بوجود علاقات بين النصوص المُختلفة ، ويقوم على فكرة عدم وجود نص بدأ من العدم ، فكلّ نص موجود هو مُعتمد في وجوده على نص آخر إمّا في الفكرة وإما في استخدام التراكيب والألفاظ** " .

ومن هذا المصطلح والمفهوم نريد أن نُجري تحقيقاً قرآنياً لنصوص ومستندات كربلاء (دوافعها - كلماتها - والأحداث التي تخللتها والأهداف التي قصدتها وكذلك شخوصها وأبطالها ..) ، من خلال إسنادها الى كلمات وآيات ومضامين الكتاب المجيد ومفاهيمه الخاصّة وكما يحصل في تحقيق الكتب والنصوص وإسناد أفكارها وعباراتها الى مصادرها التي أخذت منها او استندت عليها ..

فإذن ، عملنا هذا يمكن أن نسمّيه ايضاً بالبحث عن البُعد القرآني لواقعة كربلاء . ولهذا البُعد أهمّية بالغة في :

١ . فهم كربلاء وادراك أسرارها . لأننا حين نعرض كربلاء على عواطفنا ، أو عصبيتنا ، أو خلفياتنا المتنوعة لها ، أو من خلال القراءات الأخرى المختلفة لكربلاء .. نكون عندها عرضةً للخطأ والتوّهم أو لظلم هذه الثورة والقضية المقدّسة . ولكن عند عرضها على القرآن المجيد وربطها به نكون قد سلكنا طريقاً آمناً في ذلك للكشف عن مؤدّى صحيح قدر الإمكان ، في الكافي عن أيوب بن الحر قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : **" كل شئ مردود**

إلى الكتاب والسنة ، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف " .
فالأصل في كل شيء اذن عرضه على الكتاب الكريم ..

٢. ليس بعيداً عن النقطة أعلاه ، فإن القرآن الكريم يساعدنا في حلّ الكثير من الاشكالات والاستفهامات والتوقفات التي قد تكون عند البعض اتجاه كربلاء .. فهو من قبيل ردّ المتشابه الى المحكم .

٣. التناصّ القرآني يساعدنا في حفظ مستقبل كربلاء من استغلالاتها المغلوطة - اذا صح التعبير - ، فضلاً عن صيانتها من التحريف المعنوي خاصةً بالنسبة للقراءات الجديدة او اي محاولة عبثية في أوراقها وإرشيفها الخاصّ ، فيصبح حينئذ يحكمها قانون : (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) و (**لا اجتهاد مقابل النصّ**) .

٤. تعبيد الطريق الى أهداف كربلاء لتكون قطوفها دانية . فجعل هذه القضية ضمن قوالب قرآنية يعني ضمان الوصول إلى أهدافها . قال تعالى (**إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**)[1] .

٥. يمكن أن نستفيد منها تغذية راجعة للقرآن الكريم ، فيمكن أن تفسّر لنا كربلاء بعض نصوص القرآن الكريم ، من قبيل معرفة المفهوم من خلال مصداقه وواقعه الخارجي .. ولعل زيارتنا لأبي عبدالله ع في ليالي القدر ومخاطبته بالعبارة (**وتلوت الكتاب حق تلاوته**) وراءها هذا القصد ، فكربلاء تلاوة واقعية لكتاب الله وتجسيد عملي لمضامينه المباركة .. فهم تراجمة القرآن كما ورد صلوات الله عليهم اجمعين .

[1] الاسراء 9

وغيرها من الفوائد والعوائد المهمّة التي قد نلمسها خلال البحث . وسيقع كلامنا ضمن محاور :

المحور الأول

شخصيّة الإمام الحسين

إسناد واقعة كربلاء الى القرآن الكريم هو جزء من عقيدة إسلامية ثابتة مفادها أن العترة الطاهرة هم عدل القرآن وثقله وأنهم القرآن الناطق ، سُئِلَ أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) - عن - (**إني مُخلّفُ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي**) ، مَن العترة ..؟ فقال : (**أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم لايُفارقون كتاب الله ولايُفارقهم حتى يردا على رسول الله حوضه**) [2] . ومن كلامٍ له عليه السلام ايضاً : **أنَا كَلامُ اللهِ النّاطِقُ** .

فهذه قاعدة وعقيدة تعمّ شخصيات جميع الائمة وتشمل كلَّ ما يصدر عنهم من قولٍ او فعلٍ او تقرير ، ولو أردنا أن نضعها ضمن القياس المنطقي لاستطعنا ان نقول هكذا :

(**صغرى**) هذا قول او فعل او تقرير الإمام

[2] كمال الدين للصدوق ص240

(**كبرى**) الإمام هو القرآن الناطق

(**النتيجة**) هذا قول وفعل وتقرير القرآن

ويعترض بعض المؤمنين على القول بأن القرآن الكريم هو الثقل الأكبر والعترة الثقل الأصغر ويريدون العكس ، ومن اللطيف ان نفهم الأصغرية هنا من فهم القياس المنطقي ، وهو أن ما يصدر عنهم عليهم السلام عبارة عن تجسيد للقرآن الكريم وترجمة خارجية لألفاظه ومعانيه ، في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : **خطب النبي صلى الله عليه وآله بمنى فقال : أيها الناس ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله فأنا قلته وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله** .[3] ، فيقع القرآن في كبرى القياس وأفعال وأقوال المعصوم في صغراه ..

فكربلاء هي أعظم سورة في كتاب الله الناطق تلاها ابو عبدالله بجهاده وشهادته صلوات الله وسلامه عليه (**وتلوت الكتاب حق تلاوته**) - في كربلاء - .

وهذا ما نقرُّ به عندما نزور الإمام الحسين عليه السلام في الأوّل من رجب والنصف من شعبان ونخاطبهُ (**السلام عليك يا خازن الكتاب المسطور ، السلام عليك يا وارث التوراة والانجيل والزبور ، السلام عليك يا شريك القرآن**) ، وفي يوم عرفة (**وأصبح كتاب الله بفقدك مهجورا**) . فهذا أعلى مستوى من التناصّ حيث يصل الى مستوى التطابق وليس مجرد التفاعل والاشتراك الجزئي بين نصّين !..

وكما ان القرآن حاضراً في الامام الحسين وما يصدر عنه ، فكذلك نجد حضوره عليه السلام وكربلائهِ في النصّ القرآني ، فقد ورد في تفسير حروف (**كهيعص**) أن : الكاف اسم كربلا ، والهاء هلاك

[3] الكافي ج1 ص69

العترة ، والياء يزيد وهو ظالم الحسين عليه السلام ، والعين عطشه ، والصاد صبره .. [4] .

وفي تفسير العياشي : عن جابر ، عن أبي جعفر (عليه السلام) ، قال : **نزلت هذه الآية في الحسين (عليه السلام) { وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ-قاتل الحسين(عليه السلام)- إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا } قال : الحسين (عليه السلام)** . وفي كامل الزيارات : أبي ، عن سعد ، عن ابن يزيد وابن هاشم ، عن ابن أبي عمير ، عن بعض رجاله ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله (عزّ وجلّ) : **{ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ}** ، قال : **نزلت في الحسين بن علي (عليهما السلام)** . وفي الكافي : علي بن محمد رفعه ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله (عزّ وجلّ) : **{ فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم }** قال : « **حسب [أي نبي الله إبراهيم (عليه السلام)] فرأى ما يحل بالحسين (عليه السلام) ، فقال : إني سقيم لما يحل بالحسين (عليه السلام)** .

وكذا نجد أبا عبدالله حاضراً في كتاب الله بما لا يختلف عليه مسلم ، فهو أحد شخوص آية المباهلة ، وآية المودّة ، وآية التطهير وآية الأبرار ، بل نجد أن الإمام الحسين عليه السلام تُنسب له سورة كاملة وكما ورد عن الامام الصادق (ع) : **(اقرأوا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم فإنها سورة الحسين عليه السلام)** ، ويقول عليه السلام : **(من قرأها كان مع الحسين عليه السلام يوم القيامة في درجته من الجنة)** وغيرها من الآيات والروايات المفسرة والمؤولة بالإمام الحسين عليه السلام .

---

[4] راجع بحار الأنوار ج14 ص178

المحور الثاني

التناصّ بين كلمات الإمام الحسين ونصوص حركة الانبياء القرآنية

من يراجع خطب وكلمات ابي عبدالله الحسين عليه السلام منذ إعلانه الثورة وحتى شهادته سيجد أنها منصوصة العلّة والغرض ، وأن النصوص قد حققت نفسها بنفسها قرآنياً ، وذلك بذكر الآيات التي استندت اليها الفاظها ومعانيها ..

ويذكر لنا التاريخ حركةً فعلها الإمام عليه السلام عندما أراد أن يخطب في يوم عاشوراء تعتبر من أبلغ ما فعله الإمام في إيصال رسالة مفادها أن حركته مستنده الى القرآن الكريم .. عندما قام عليه السلام بنشر المصحف على رأسه الشريف ، فيقول الخبر : (بعد أن خطب الإمام الحسين عليه السلام خطبته الأولى ، بجيش عمر بن سعد يوم العاشر من المحرّم ، خطب عليهم ثانية لإلقاء الحجّة ، بعدما أخذ مصحفاً ونشره على رأسه ، فقال : " **يا قوم إنّ بيني وبينكم كتاب الله وسنّة جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله** .. ") .

وأمّا نفس كلامه وخطبه في كربلاء فقد كان حافلاً بآيات القرآن ومضامينه المتنوعة ، ولعل من أبرز ما وظّفه الإمام من آيات القرآن

هي تلك المتعلّقة بالحركة الرسالية للأنبياء ، أراد من خلالها إفهام الآخر بأنه جزء من حلقة رسالية الهية قادها انبياء الله منذ وجود الإنسان على هذه الأرض ، ونذكر من هذه التوظيفات والإستشهادات :

● هجرة جدّه صلى الله عليه وآله من مكة الى المدينة في سبيل الرسالة وإحقاق الحق .. ومن خلال إسناد قضيّته الى حادثة الهجرة استطاع عليه السلام اختصار أسس حركته من المدينة الى كربلاء وأهدافها ودوافعها .. وسنذكر أولاً كلام الإمام ثم نذكر النصّ القرآني الذي يرجع له كلامه .

فيقول عليه السلام : **" وأنا أوْلى مَن قام بنصرة دين الله ، وإعزاز شرعه ، والجهاد في سبيله ، لتكون كلمة الله هي العليا "** .

هذه الكلمة تتناصّ مع قوله تعالى : **" إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "** [5] .

فلو قرأنا الآية بلحاظ تاريخ كربلاء وليس بلحاظ هجرة النبي لرأينا التطابق العجيب ، ولفهمنا كربلاء قرآنيّا .

● ونراه ايضاً صلوات الله عليه يوظّف ما ذكره القرآن الكريم في قضية نبي الله نوح ونصحه لقومه ، ففي يوم عاشوراء خطب وقال :
" أيَّها النّاسُ اسمعَوا قَوْلي ولا تَعجَلوا حتّى أَعِظَكم بما يَحقُّ لكم عليّ وحتّى أعْذِرَ إليكم ، فإن أعطيتموني النّصفَ كنتم بذلكَ أسعدَ ، وان لم تُعْطُوني النّصفَ من أنفسِكم فأجمعوا رأيَكم ثمّ لا يَكنْ أمرُكم عليكم

[5] التوبة 40

غُمّةً ثمّ اقضوا إليَّ ولا تنظِرونَ ، إنَّ وَلِيّي اللهُ الّذي نزّلَ الكتابَ وهو يتولّى الصّالحينَ " .

وتناصّ كلامه عليه السلام هذا مع قوله تعالى : " **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ** " [6] .

فيريد أن يقول لهم : أنا سفينة نجاتكم كما كان نوح سفينة نجاة قومه ، من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق وهوى .

- وكذلك وظّف عليه السلام قصة نبي الله موسى عليه السلام في كلامه ، وما واجهه ورهطه من أمر فرعون وطغيانه .

فعندما خرج عليه السلام من المدينة المنورة مع أهله وأصحابه ، خرج وهو يقرأ هذه الآية : (**فخرج منها خائفاً يترقّب قال رب نجني من القوم الظالمين**) ، فشبّه خروجه بخروج موسى من مدينة فرعون خائفًا ينتظر الطلب أن يدركه فيأخذه . وعندما وصل الإمام (ع) إلى مكة ، تلا هذه الآية الشريفة : (**وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ**) .

ويقول عليه السلام في آخر خطبته في عاشوراء : " **يا عبادَ اللهِ ، إنّي عُذْتُ بربّي وربّكم أن ترجمون ، أعوذُ بربِّي وربّكم من كلِّ مُتكبّرٍ لا يُؤْمِنُ بيومِ الحسابِ** " . وهذا هو كلام موسى عليه السلام في القرآن : (**وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ، أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ... وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ... فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ، فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا**

---

[6] يونس 71

إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ، وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ) [7] . (**وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ**)[8] .

● التنّاص بين قول نبي الله شعيب عليه السلام في قوله تعالى (**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**) ، وقول الإمام عليه السلام : " **إني لم أخرج أشراً، ولا بطراً ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير** " .

● ونراه عليه السلام ايضاً يوم عاشوراء ، عندما خرج علي الأكبر (ع) إلى ساحة المعركة ، يتلو هذه الآية خلفه : (**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ**) .. وهذا فعل وقول للإمام يختصر لنا كل المعاني السابقة ..

وبهذا فإنّ الإمام قد تلا عليهم آيات وراثته للأنبياء وامتداد حركته وقضيّته لحركتهم ورسالتهم ، وهذا ما زار به الإمام الصادق عليه السلام جدّه في نصّ زيارة وارث ..

---

[7] الدخان 17-24

[8] غافر 24

المحور الثالث

أفعال تستند في مفاهيمها وأحكامها الى القرآن الكريم

كربلاء - وكما أوضحنا - كلّ ما فيها هو قرآني المستند ، وهذا البعد القرآني يشمل أقوالها وأفعالها ، وذكرنا في المحور السابق جانباً من قرآنية أقوال الإمام وخاصةً تلك التي اتخذت من حركة الأنبياء وأقوالهم في القرآن الكريم مستنداً لها ، واليوم نريد أن نذكر البعد القرآني لبعض أفعال الإمام في هذه القضيّة المباركة ، ومنها :

■ بيعة يزيد والدعوة لها من (الرجس) الذي أذهبه الله عن أهل بيت النبوّة .

ذكر السيد ابن طاووس : أنه (عليه السلام) قال : **إنا لله وإنا اليه راجعون ، وعلى الاسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد ، ولقد سمعت جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان** . فغضب مروان بن الحكم من كلام الحسين ، ثم قال : والله ! لا تفارقني ، أو تبايع ليزيد بن معاوية صاغرا ، فإنكم آل أبي تراب قد ملئتم كلاما ، وأشربتم بغض آل بني سفيان ، وحق عليكم أن تبغضوهم وحق عليهم أن يبغضوكم .

فقال له الحسين (عليه السلام) : **ويلك يا مروان ! إليك عني فإنك رجس ، وإنا أهل بيت الطهارة الذين أنزل الله عز وجل على نبيه محمد (صلى الله عليه وآله) فقال : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾** فنكس مروان رأسه لا ينطق بشيء .. الخبر .

فلاحظ كيف أسند الإمام وصفه لمروان بالرجس قرآنياً وكيف أعطى للآية تفسيراً مصداقيا ..

■ حرص الإمام على عدم القتال في مكة مبدأه قرآني

يقول (ع) : " **لأن أُقتل خارجاً منها ـ أي من مكّة ـ بشبرٍ أحبّ إليّ** ". ويقول (ع) لابن الزبير : " **لئن أقتل بمكان كذا وكذا ، أحبّ إليَّ من أن تستحلّ** " .

وهذا ـ حرمة مكة ـ ما أكد عليه القرآن المجيد في أكثر من موضع ، قال تعالى : **(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)**[9] .

[9] البقرة 125

وقال تعالى : **(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)**[10].

وهذا ما أكده رسول الله صلى الله عليه وآله يومَ فتحِ مكةَ : **" إنَّ هذا البلدَ حرَّمَه اللهُ يومَ خلَقَ السمواتِ والأرضَ ، فهو حرامٌ بحرمةِ اللهِ إلى يوم القيامة ، وإنَّه لم يحلَّ القتالُ فيه لأحد قَبْلِي .. "** .

■ **صلاة الحسين عليه السلام في كربلاء** : وإليك الآية ثم الخبر :

الآية : قال تعالى : **(وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا)** [11].

الخبر : - في يوم عاشوراء - دخل وقت الظهر ، فجاء أبو تمامة الصيداوي وقال : يا أبا عبد الله أنفسنا لنفسك الفداء ، هؤلاء اقتربوا منك ، لا والله لا تقتل حتى أقتل دونك .. وأحبّ أن ألقى الله عزّ وجلّ وقد صلّيت هذه الصلاة معك .

فرفع الحسين رأسه إلى السماء وقال **: ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين ، نعم هذا أول وقتها .**

---

10 ال عمران 96-97

11 النساء 102

ثم قال عليه السلام : **سلوا هؤلاء القوم أن يكفّوا عنّا حتى نصلّي** ، فأذّن الحسين بنفسه ، وقيل : أمر مؤذّنه ليؤذّن ، ثم قال الحسين : **ويلك يابن سعد أنسيت شرائع الإسلام ؟ أقصر عن الحرب حتى نصلّي وتصلّي بأصحابك ونعود إلى ما نحن عليه من الحرب** ، فاستحى ابن سعد أن يجيبه ، فناداه الحصين ابن نمير ـ عليه اللعنة ـ قائلاً : صلّ يا حسين ما بدا لك فإن الله لا يقبل صلاتك .

فأجابه حبيب بن مظاهر : ثكلتك أمك ، ابن رسول الله صلاته لا تقبل وصلاتك تقبل يا خمّار ؟! فقال الحسين لزهير بن القين وسعيد بن عبد الله : **تقدّما أمامي حتى أصلّي الظهر** . فتقدّما أمامه في نحو نصفٍ من أصحابه حتى صلّى بهم صلاة الخوف ، وسعيد تقدّم أمام الحسين فاستهدف لهم فجعلوا يرمونه بالنبال كلّما أخذ الحسين يميناً وشمالاً قام بين يديه فما زال يرمى إليه حتى سقط على الأرض وهو يقول : اللهم العنهم لعن عادٍ وثمود ، اللهم أبلغ نبيّك عني السلام ، وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح فإنني أردت بذلك نصرة ذرّية نبيّك ثم مات رحمه الله .

وغيرها .. لمن أراد التقصّي والاستقراء .

المحور الرابع
قرآنية الصحبة والنصرة في كربلاء

في القرآن الكريم مساحة واسعة للذين صحبوا الأنبياء ونصروا حركتهم وآمنوا برسالتهم ، وتحمّلوا في سبيل ذلك ما تحمّلوا .

وتميّز أصحاب وحواريو الانبياء بالنوعية الإيمانية والعزيمة العالية رغم قلّة عددهم ، ولهذا فقد كانوا خير عون واستطاعوا ان يكونوا جزءاً من النجاحات التي حققتها الرسالات السماوية .. وفي المقابل كان الطابع العام لأقوام الانبياء الذين بُعثوا لهم هو الكفر

برسالتهم والخذلان عن نصرتهم ، وفي أحسن الأحوال هو ما قاله بنو اسرائيل لموسى (**قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**)[12] .

فنبي الله نوح عليه وعلى نبيّنا سلام الله رغم طول مدة بعثته إلا أن القرآن الكريم يصف عدد الذين آمنوا لدعوته ب (قليل) ، قال تعالى (**حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ۚ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ**)[13] .

وكذا بالنسبة لقصة طالوت ، فالذين نجحوا في اختبار تحمّل العطش وعدم الارتواء من ماء النهر يصفهم القرآن بالقلّة ايضا ، قال تعالى (**فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۚ** ..)[14] .

وهكذا بالنسبة لحواريي عيسى عليه السلام عندما طلب النصرة ، قال تعالى (**فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**)[15] ، وكان عدد حواريي عيسى كما يُذكر اثنى عشر رجلاً .. !

واستمرّ الأمر حتى بعثة خاتم الأنبياء رسول الله صلى الله عليه وآله ، فبعد مرور اكثر من (١٤) عاماً من الدعوة يصفهم القرآن في معركة بدر بأنهم (أذلّة) إشارة الى قلة عددهم وضعف تجهيزاتهم ،

---

[12] المائدة 24

[13] هود 40

[14] 249

[15] ال عمران 52

قال تعالى (**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) [16] .

ونفس الشيء مع ائمة اهل البيت عليهم السلام بعد رحيل النبي صلوات الله وسلامه عليه ، فلم يجد أمير المؤمنين في أحداث انقلاب السقيفة غير أربعة من المسلمين يقفون معه (سلمان والمقداد وعمار وأبو ذر) رضوان الله تعالى عليهم ، وكذا الخذلان الذي ابتلى به الإمام الحسن عليه السلام حتى اضطر الى الصلح مع معاوية عليه لعائن الله ..

الى أن وصل الأمر الى الثلّة التي نصرت ابا عبدالله عليه السلام ، والذين قال عنهم عليه السلام كلاماً فضلّهم به على سائر أصحاب الانبياء والائمة كما يستفاد من إطلاق العبارة حيث قال (**فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي**) .

فأصحاب الحسين عليه السلام في كربلاء هم أفضل حلقة في سلسلة أصحاب وأنصار الحق على طول خط الرسالات السماوية والذين طالما أشار وأشاد بهم القرآن المجيد ، تربّوا هؤلاء - أكثرهم - في أجواء ومفاهيم القرآن حتى اختمر في عقولهم وانطبعت عليه نفوسهم .. مثل برير بن خضير الهمداني ، كان (سيد القرآء) كما ذكر الطبري وابن الأثير ، و (أقرأ أهل زمانه) كما ذكر الشيخ الصدوق ، وكذلك حبيب بن مظاهر الأسدي كان حافظآ للقرآن والذي قال بحقه الامام الحسين عليه السلام حينما سقط في كربلاء (**لِلَّهِ دَرُّكَ يَا حَبِيبُ ! لقد كنتَ فاضلاً تختم القرآن في ليلةٍ واحدة**) .

---

16 ال عمران 123

المحور الخامس

البُعد القرآني في موضوع عطش كربلاء

قال تعالى (**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**) [17] . ولو تأملنا لوجدنا أن الآية لم تحدد هل الحياة سببها الإرتواء من الماء أم العطش ..!! وأحسب أن الماء فيه حياة في الحالتين معاً ، بل قد تكون الحياة التي يهبها العطش أعظم وأقدس من حياة الإرتواء .

لأنه قد يتوقف على العطش حياة أمّة وبقاء دين ، وهذا ما يحدّثنا عنه القرآن المجيد في قصّة طالوت الملك الذي قاد بني اسرائيل لمواجهة جالوت (الملك الفلسطيني) الذي ظلمهم وأخرجهم من ديارهم وأبعدهم عن ابناءهم . فعندما قاد العسكر نحو المعركة وفي الطريق أخبرهم بأن الله سيمتحنهم بنهر ، ليتبين المطيع من العاصي ، (**فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ**) ، وكان امتحاناً عسيراً بسبب شدة العطش مع مقدار الجهد المبذول .

ولم ينجح بهذا الامتحان الا القليل (**فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۚ**) ، ولهذا نتج عنه منطقان ، الأول هو منطق الفاشلين (**فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ**) ، أما المنطق الآخر هو منطق الذين نجحوا في الاختبار (**قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**) .

في الكافي عن الامام الباقر عليه السلام : **فشربوا منه الا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، منهم من اغترف ومنهم من لم يشرب ، فلما برزوا لجالوت قال الذين اغترفوا (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) وقال الذين لم يغترفوا (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ..)** .

---

[17] الانبياء 30

فلاحظ كيف أحيا العطش هؤلاء الذين لم يشربوا الماء ، وبالتالي أحيا الله من خلالهم أمة وكتب لها النصر ..

ونفس هذا العطش كان سرّاً من أسرار عظمة عاشوراء وإحياءها للأمة على مدى الدهور والأزمان ، فالعباس عليه السلام وصل للنهر وكان بإمكانه أن يرتوي منه غير أنه منع نفسه من اغتراف حتى الغرفة الواحدة ، تقول الرواية :

فجاء ـ العباس ـ إلى الحسين عليه السلام واستأذنه في القتال ، فقال ع له : **انت حامل لوائي** ، فقال : **لقد ضاق صدري وسئمت الحياة** ، فقال له الحسين ع : **انْ عزمت فاستسق لنا ماءا** ، فاخذ قربته وحمل على القوم حتى ملء القربة ، قالوا واغترف من الماء غرفة ثم ذكر عطش الحسين ع فرمى بها وقال :

يا نفس من بعد الحسين هوني. * وبعده لا كنت ان تكوني
هذا الحسين وارد المنـــــون * وتشربين بارد المعيـــن
والله ما هذا فعال دينـــــي * ولا فعال صـادق اليقين

فلا غرو أن نقول أن الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء كان تجليّاً من تجليّات قوله تعالى (**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**) [18].

وعلى هذا المستوى من الوعي نفهم ايضاً ما ورد عن الإمام الباقر ع في تأويل الماء المعين في قوله تعالى (**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ**

---

[18] هود 7

غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ)[19]، بالإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف .

فللماء فهمه الخاص ووعيه العميق قرآنياً وفي كربلاء .

المحور السادس

[19] الملك 30

البُعد القرآني في موقف الحرّ بن يزيد الرياحي

العدول من جهة الباطل الى جانب الحق في الأوقات الحرجة والمهمّة التي يحتاج فيها الحق للنصرة من المواقف التي وثّقها القرآن الكريم تخليداً وتعظيماً لها ..

وهي تحتاج الى توفيق خاص وقوة قلب عالية (**وَأَشْجَعُ النَّاسِ مَنْ غَلَبَ هَوَاه**) - كما عن الرسول ص وآله - ، وكذلك تحتاج الى حسابات دقيقة للموقف في حينها ، وبالتالي فإنها من التوفيق للتوبة ، والتوبة درجة كما في الدعاء (**وَانْقُلْني إلَى دَرَجَةِ التَّوْبَةِ إلَيْك**) لا ينالها كل أحد .

ومن أوضح مصاديقها القرآنية هي قضيّة السَحَرة الذين جاء بهم فرعون من أجل دحض حجّة ومعاجز موسى ع ، غير أنه حصل العكس وشهدوا على أحقيّة نبي الله بعدما تبيّن لهم واضحاً وفي موقف محرج لفرعون ومن معه (**فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ**) وخاطبوا فرعون الذي اوعدهم بالعذاب والصلب على تخليهم عنه (**قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**) .

ايمانهم في هذا الموقف أفضل من ايمان الالاف غيرهم ممن لم يؤدّ ايمانهم الى نتيجة ذات اهمية في نصرة الحق .

وهذا ما حصل مع الحرّ بن يزيد الرياحي رضوان الله تعالى عليه ، فكان اشجع اهل الكوفة وعلى رأس الف فارس ومكلّف بجعجعة الإمام الحسين ع ومنع دخوله الى الكوفة ، غير أنه في اللحظات الحرجة وعندما تقارعت السيوف واصطكت الأسنّة كما يُقال وقف

الى جانب الحق في كربلاء ونال بذلك شرف الدنيا وحسن ثواب الآخرة .

وينقل لنا التاريخ كلمته التي قالها (إنّي والله أُخيِّر نفسي بين الجنّة والنّار ، فوالله لا أختار على الجنّة شيئاً ولو قُطِّعْتُ وحُرِّقْتُ) وما أشبهها بكلام السحرة لفرعون (**قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا .. اقض ما انت قاض**) .

وثمّة مشابهة دقيقة اخرى بين السحرة والحر ، وهي ان كلاً منهما كان على مستوى من الايمان والعلم المسبق بالحق ولكن لم يرتق في حينها الى مستوى التغليب والانقلاب على مسايرة الباطل :

فأما السحرة فتقول الآية المباركة أنهم بعدما قال لهم موسى ع (**قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ** افْتَرَى) قد حصل تراجع عندهم (**فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى**) .. تقول بعض التفاسير انهم شعروا بأن هذا كلام نبي وليس كلام ساحر ..! الا انهم استمروا بالمباراة حتى تيّقن لهم ان موسى ع هو نبي ورسول فصدر منهم ذلك الموقف الخالد .

وكذا الأمر مع الحرّ رضوان الله عليه ، فتقول الرواية نقلاً عنه : فلما خرجت من منزلي متوجها نحو الحسين عليه السلام نوديت ثلاثا : يا حر أبشر بالجنّة ، فالتفتُّ فلم أر أحدا ، فقلت : ثكلت الحر أمه ، يخرج إلى قتال ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ويُبشّر بالجنة ؟ . مما يدلّ على أنه كان على مستوى من الدراية بالإمام الحسين ع والايمان به وبقضيته بل وببشاعة عمله ..

يقول الشيخ كاشف الغطاء (رحمه الله) : وبقي الحرّ يدير رحى الحرب وحده ، ويحصد الرؤوس ، ويخمد النفوس ، حتى قتل في حملته الأخيرة ثمانين فارساً من أبطالهم ، فضج العسكر ، وصعب عليهم أمره ، فنادى ابن سعد بالرماة والنبالة فأحدقوا به من كل جانب حتى صار درعه كالقنفذ ، هنالك اتقدت نار الغيرة في كانون فؤاده ،

ووقف وقفة المستميت فنزل عن فرسه وعقرها لأنها لم تستطع الاقتحام من كثرة السهام ، وأخذ يكر عليهم راجلاً إلى أن سقط على الأرض وبه رمق ، فكر عليه أصحاب الحسين (عليه السلام) ، واحتملوه حتى ألقوه بين يدي الحسين (عليه السلام) ، فجعل الحسين يمسح الدم والتراب عن وجهه ويقول **: ما أخطأت أمك إذ سمتك حرا ، أنت الحر في الدنيا والحر في الآخرة** ، ثم استعبر (عليه السلام)[20].

السلام على الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين ورحمة الله وبركاته

20 مقتل الحسين ص40

المحور السابع

البعد القرآني لمزارات ومراقد شهداء كربلاء

روى الشيخ المفيد في الإرشاد عن زيد بن أرقم أنّه قال : مرّ به على رمح وأنا في غرفة لي فلمّا حاذني سمعته يقرأ (**أم حسبتَ أنّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا مِن آياتنا عجبًا**) فقفَّ والله شعري وناديت : "رأسك والله يا ابن رسول الله أعجب وأعجب " .

كلام رأس الإمام الحسين ع من الثوابت التاريخية وفي أكثر من موضع على طريق السبي وفي الشام ، أحصاها السيد الشهيد الصدر في كتاب " شذرات من فلسفة تاريخ الإمام الحسين " فوجدها سبعة .

وما يهمّنا في هذا المقال هو الآية التي رددها الرأس الشريف ، وهي الآية من سورة الكهف أعلاه . والسؤال الذي يتبادر الى الذهن عن العلة او الحكمة او المناسبة وراء قراءة هذه الآية المباركة دون غيرها ..!

وبأدنى تأمّل يمكن أن نعقد مقارنة ومشابهة بين قضية اهل الكهف وعاشوراء فنقول :

✓ كربلاء تمثل الكهف الذي أوى اليه ابو عبدالله ومن معه ، وهم فتية زمانهم ، حفظوا بها الإيمان والدين ..

✓ ومن المقارنة ايضاً ما وصف به القرآن أهل الكهف بقوله (تحسبهم أيقاظاً وهم رقود) ، وهو معنى قريب من معنى الشهادة (**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**) وكربلاء من أعلى درجاتها ..

✓ وكان أهل الكهف اعجوبة زمانهم وذلك بعد ان رقدوا في كهفهم ثلاثمائة وتسع سنين ، وكذلك ما ظهر للحسين عليه السلام من معاجز وكرامات قبل واثناء وبعد مقتله ما شكل اعجوبة وللآن ومنها تكلّم الرأس الشريف واحمرار السماء والدم تحت كل حجر ، ودم الرضيع الذي لم يسقط على الأرض .. الخ

وعلى هذا السياق من التشبيه والمقارنة يمكن ان ننتزع البُعد القرآني لمراقد كربلاء مما صرّح به القرآن الكريم من قرار بناء مسجد على أصحاب الكهف ، وبدون ان يشعرنا بالنهي عنه ، حيث قال تعالى (**وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا ۖ رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا**) .

فكأن رأس ابي عبدالله ع أعطى الفتوى مع مستندها الشرعي الخاصة ببناء مرقده واتخاذه مسجدا ، واي مسجد ..!! طالما أرعب الظالمين وهز عروشهم وأثار بوجههم صرخات وثورات هيهات منّا الذلة .. ولا زال مرقده كهف الأحرار وملجأ أباة الضيم وقبلة كل مظلوم وأكبر مدرسة لتعلّم قواعد وأسس النصر والخلود ..

ولا بد من التنويه ان هذه الآية المباركة هي من أدلّة جواز البناء على القبور واتخاذها مساجداً في الفقه ، أما هنا وعندما نسمعها من رأس الإمام الحسين ع وهو مقطوع وعلى رأس الرمح فتكون دليلاً وعلى الأقل قرينةّ باتخاذ كربلاء ومراقد شهدائها على وجه الخصوص عتبات ومراقد مقدسة ومساجد معظّمة ..

المحور الثامن

مقاربة قرآنية بين رضيع الإمام الحسين ع وفصيل ناقة صالح

عندما رمى حرملة بن كاهل- لعنه الله - عبد الله الرضيع بسهم وقع في نحره فذبحه ، فوضع الحسين (عليه السلام) يده تحت منحر الرضيع حتى اذا امتلأت دماً ، رمى بها نحو السماء وهو يقول : « **هوّن ما نزل بي انه بعين الله تعالى ، اللهم لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح ، الهي ان كنت حبست عنّا النصر فاجعله لما هو خير منه ، وانتقم لنا من الظالمين ، واجعل ما حل بنا في العاجل ذخيرةً لنا في الآجل** .. »

والتشبيه بناقة صالح وظّفه المعصوم في أكثر من مرة ، فروى الثعلبي في (العرائس) بإسناده مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وآله قال : **يا علي أتدري من أشقى الأولين ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : عاقر الناقة ، قال : أتدري من أشقى الآخرين ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : قاتلك** .

وايضاً عن الامام الصادق ع في قوله تعالى : (**فقال لهم رسول الله**) هو النبي صلى الله عليه وآله ، (**ناقة الله وسقياها**) قال : **الناقة الامام الذي فهمهم عن الله (وسقياها) أي عنده مستقى العلم (**

فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها) قال : في الرجعة (ولا يخاف عقباها) قال : لا يخاف من مثلها إذا رجع[21] .

ورغم أن التشبيه من أساليب اللغة العربية في إيصال المعنى ، الا أنه عندما يستعمله المعصوم ويكون المشبّه به من القرآن الكريم فتكون عندها المعاني غير مقتصرة على إيصال المعنى وتوضيح الصورة وإنما هو استبطان لمعاني كلام الله جلّ شأنه ونوع ومستوى من تأويل آيات كتابه المجيد ..

والقرآن الكريم يجري مجرى الشمس والقمر كما ورد وآياته قابلة للإنطباق دائماً ، وهذا لا شك به ، نعم المشكلة بمن يقوم بعملية المطابقة هذه ، فليس كل أحد يستطيع ذلك .

وعلى العموم ، سنحاول التعليق على هذه المشابهة بأمور :

الأول : نستشعر منها مقدار لوعة الإمام الحسين ع على ذبح ولده عطشاناً وبين يديه ، وكأنّه أراد من تشبيه ابنه بالفصيل هو تشبيه حزنه وحنينه بحزن وحنين الناقة عندما يُذبح ولدلها أمامها .. وهي معروفة بذلك ويضرب بها المثل ، ومن قول للنابغة الشيباني :

لَهُ حَنينٌ إِذا ما جاشَ مُبتَرِكاً ** كَما تَحِنُّ إِلى أَطفالِها الإِبِلُ

غير أن الإمام ع احتسب كل ذلك الألم عند الله بقوله (**هوّن ما نزل بي انه بعين الله تعالى**) .

---

[21] البحار ج24 ص 72

الثاني : عظم الجريمة التي ارتكبها بنو أمية وجيش عمر بن سعد ، بحيث استحقوا العذاب الشديد كما استحقها قوم ثمود بارتكابهم إثم قتل الناقة وفصيلها معها (على قول أنهم قتلوه وقول أنهم طلبوه فلم يجدوه بعد أن قال لهم صالح ع ادركوه لعل تُرفع العقوبة عنكم) . قال تعالى (**وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ**) [22].

الثالث : نحتمل أن الإمام ع في الوقت الذي ثبّت به عند الله تعالى عظم هذه الجريمة بدعائه (**اللهم لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح**) ، إلا أنه يريد من وراء ذلك ثواب الآخرة وليس عذاب الدنيا ، فمن رحمة الله بهذه الأمّة هو وجود محمد وال محمد صلوات الله عليهم اجمعين (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**)[23] . فمما اختصت به أمة محمد صلى الله عليه وآله أن الله رفع عنها العذاب العامّ والعقوبات الأممية (كالصيحة والطوفان والريح العاتية والخسف.. الخ) ، ولهذا فإن الإمام أعقب دعائه بقوله (**الهي ان كنت حبست عنّا النصر فاجعله لما هو خير منه ، وانتقم لنا من الظالمين ، واجعل ما حل بنا في العاجل ذخيرةً لنا في الآجل**) في إشارة منه عليه السلام الى الانتقام الاخروي للظالم والجزاء الاخروي للمظلوم .

الرابع : عدم سقوط دم الرضيع الى الأرض بالإضافة الى أنه كرامة وحجّة دامغة وإحقاق للحق وأمام مرأى الجميع ، فإنه بنفس الوقت يُثبت ما قلناه أعلاه ، من عظم المصيبة وبشاعة الجريمة وقبول دعاء الإمام عليه السلام سواء ما يتعلق به او بأعدائه عليهم لعائن الله .

---

[22] هود 67

[23] الانبياء 107

المحور التاسع
كفالة السيدة زينب ع ثقافة قرآنية

موضوع كفالة شخص لآخر من الموضوعات القرآنية التي ارتبطت بها حفظ انبياء ونجاح رسالات ، فقد كفل نبي الله زكريا مريم عليهما السلام وكان سبباً في حفظها وكمال عبادتها ومساندتها في محنتها خاصة في قضية ولادة نبي الله عيسى ع من غير أب ، قال تعالى (**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**)[24].

وكذلك أرجعت الكفالة نبي الله موسى ع الى أمه ، قال تعالى (**إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ** ۚ) .

---

[24] ال عمران 37

وذكر القرآن الكريم ايضاً كفالة الرسول الأعظم صلى الله عليه واله ، في تفسير الميزان قوله تعالى : " **ألم يجدك يتيما فآوى** " الآية وما يتلوها من الآيتين إشارة إلى بعض نعمه تعالى العظام عليه صلى الله عليه وآله فقد مات أبوه وهو في بطن أمه ثم ماتت أمه وهو ابن سنتين ثم مات جده الكفيل له وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه ورباه .

والكفالة تعني نوع من الرعاية والضمان وإدارة شؤون الشخص وما يحتاج اليه وحسب حاله وظرفه وتبعاً للشخص الكافل والمكفول ..

وعلى هذه الثقافة القرآنية ذكرت لنا بعض المصادر خبر كفالة العباس بن أمير المؤمنين ع لإخته العقيلة زينب الكبرى ع ، وهناك نصّان يتضمنان هذا الخبر :

✓ **النص الأول :**

قيل : إنّه لمّا مضت أيام على ولادة أبي الفضل العبّاس (عليه السّلام) جاءت السيّدة زينب (عليها السّلام) إلى أبيها الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) يوماً وهي تحمل أخاها العبّاس (عليه السّلام) ، وقد ضمّته إلى صدرها ، وقالت له : **أبه يا أمير المؤمنين ، ما لي أرى قلبي متعلّقاً بهذا الوليد أشدّ التعلّق ، ونفسي منشدّة إليه أكبر الانشداد ؟** فأجابها أبوها الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) بلطف وحنان قائلاً : **وكيف لا تكونين يا أبه كذلك وهو كفيلك وحاميك ؟** فقالت السيّدة زينب (عليها السّلام) بتعجّب : **إنّه كفيلي وحاميني ؟!** فأجابها (عليه السّلام) بعطف وشفقة : **نعم يا بُنيّة ، ولكن ستفارقينه ويفارقك** .

فقالت السيّدة زينب (عليها السّلام) باستغراب : **يا أبتاه ، أيتركني هو أم أتركه أنا ؟** فقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) وهو يجيبها بلهفة ولوعة : **بل تتركينه يا بُنيّة وهو صريع على رمضاء كربلاء ، مقطوع اليدين من الزندين ، مفضوخ الهامة بعمد الحديد ، ضامٍ إلى جنب الفرات** . فلم تتمالك السيّدة زينب (عليها السّلام) لمّا سمعت ذلك حتّى أعولت وصاحت : **وا أخاه ! وا عبّاساه ! .**

المصدر: -كتاب الخصائص العباسية لمحمد ابراهيم الكلباسي النجفي ص٧٣

✓ **النص الثاني :**

" إن زينب لما رأت أباها جمع أولاده عند الاحتضار وأخذ يوصيهم تقدمت إلى أبيها وقالت : **يا أبتاه أريد أن تختار لي من أخوتي من يكفلني ويلتزم بي** ، فقال : بنية هؤلاء أخوتك فاختاري من تريدين هذا الحسن وهذا الحسين ، فقالت الحسن والحسين أئمتي وسادتي وأنا أخدمهما بعيني ، ولكن أريد من أخوتي من يخدمني لعلي أحتاج في هذه الحياة إلى سفر فيخدمني ويكفلني في السفر ، فقال اختاري منهم من شئت .

فمدّت زينب بصرها إلى أخوتها فما وقع الاختيار إلا على قمر العشيرة أبي الفضل العباس . فقالت زينب : **يا أبتاه أريد أخي هذا** ، وأشارت إلى العباس . فقال أمير المؤمنين (ع) : **بني أدن مني** ، فدنا منه فأخذ بيد زينب ووضعها في يد العباس وقال : **بني هذه وديعة مني إليك** . فقال العباس وقد تحادرت دموعه على خدّيه : **يا أبتاه**

لأنعمنك عينا ، وأبذل كل جهدي في حفظها ورعايتها . فأخذ أمير المؤمنين (ع) ينظر إلى العباس وإلى زينب ويبكي " .

المصدر : النص الجلي في مولد العباس بن علي (ع) لمحمد علي الناصري ص٥٦

ولكفالة أبي الفضل العباس للسيدة زينب ع أهمية وخصوصية ، سواءً على مستوى أهداف وفكر وفلسفة القضية الحسينية أو على المستوى العاطفي منها .. فكل منهما كان سبباً مهمّاً لوجود الآخر في الطف سلام الله عليهما ، ونشعر ايضاً أن كل منهما تدخل في رسم الشخصية الخاصة للآخر في عاشوراء ، وهما أهمً شخصيّتين في هذه القضية بعد شخصيّة إمامهما وسيدهما أبي عبدالله ع . فالطف عبارة عن مجموعة أدوار ووظائف ، اجتمعت هذه الأدوار ورسمت لنا لوحة كربلاء الخالدة .

ملاحظة : قد يعترض البعض بضعف التوثيق التاريخي لمسألة كفالة العباس ع ، ويمكن أن نجبر هذا الضعف بأن الاخ - كل أخ - كفيل أخته خاصة في السفر وساحات وساعات الخطر ، وكانت زينب ع تلقب بعقيلة الطالبيين ، فكلهم كفلاء زينب ع وإن كانت الأولوية لإخوتها .. فالكفالة اذن ثقافة قرآنية اسلامية وكذلك ثقافة وأخلاق إنسانية وعربية ثانيا .

المحور العاشر

البُعد القرآني لأعداء وظالمي الإمام الحسين ع في الطف

كما أن هنالك بُعداً قرآنيّاً لجانب الخير وشخصيّاته ومواقفه وقصصه في القرآن الكريم فإنه يوجد البُعد القرآني لجانب الشرّ وما تضمّن من شخصيات ومواقف وقصص .. قال تعالى (**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**)[25] .

[25] الزمر 27

ويُحسن بنا الآن أن نتطرق الى الجانب الآخر من عاشوراء ولنرى أين موقعهم من القرآن الكريم . ولا شك أن يزيد وعبيد الله بن زياد وحواشيهم ومستشاريهم واذنابهم كعمر بن سعد وجيشه هم نسخ متجددة لقتلة وظلمة الأنبياء ومكذبيهم ، وهم شخصيات متكررة لكل طاغي وشقي ذكره القرآن الكريم ، كقابيل وفرعون وقارون والنمرود وجالوت وعاقر ناقة صالح ومن كان على شاكلتهم .

فأبو عبدالله ع ورث الأنبياء كما في الزيارة وهؤلاء ورثوا اعداء وظلمة وقتلة الأنبياء . ولكن تبقى الوراثة الإلهية هي الغالبة وهي المنتصرة ولو بعد حين ، قال تعالى في سورة القصص : { **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُون** }[26] .

وأبو عبدالله ع ورث جده وأباه وأمه وأخاه واعدائه هم ابناء الطلقاء وورثتهم وهم ورثة الناكثين والقاسطين والمارقين .. ولقد أشار الى هذه المفارقة كل من مولانا زين العابدين ع ومولاتنا زينب الكبرى ع في الشام وفي مجلس يزيد عليه لعائن الله :

- فأمّا زين العابدين فأشار الى انتمائه النسبي والديني والتاريخي ، فمما قاله (**أيها الناس أعطينا ستاً وفضلنا بسبع، أعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين**

---

26 القصص 4-6

وفضلنا بأن منا النبي المختار محمداً (صلى الله عليه وآله) ومنا الصديق ومنا الطيار ومنا أسد الله وأسد رسوله ، ومنا سبطا هذه الأمة ومنا مهدي هذه الأمة ، ثم قال : من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي ، أيها الناس ، أنا ابن مكة ومنى ، أنا ابن زمزم والصفا ، أنا ابن من حمل الزكاة (الركن... خ ل) بأطراف الرداء ، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى ، أنا ابن خير من انتعل واحتفى ، أنا ابن خير من طاف وسعى ، أنا ابن خير من حج ولبى ، أنا ابن من حمل على البراق في الهواء، أنا ابن من أسريَ به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، أنا ابن من بلغ به جبرائيل إلى سدرة المنتهى ، أنا ابن من دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، أنا ابن من صلى بملائكة السماء مثنى مثنى ، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى ، أنا ابن محمد المصطفى ، أنا ابن علي المرتضى ، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا لا إله إلا الله ، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) بسيفين وطعن برمحين وهاجر الهجرتين وبايع البيعتين ، وقاتل ببدر وحنين ، ولم يكفر بالله طرفة عين ، أنا ابن صالح المؤمنين ، ووارث النبيين ، وقامع الملحدين ، ويعسوب المسلمين ونور المجاهدين ، وزين العابدين ، وتاج البكائين ، وأصبر الصابرين ، وأفضـل القائمين من آل طه وياسين رسول رب العالمين ، أنا ابن المؤيد بجبرائيل المنصور بميكائيل ، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين وقاتل المارقين والناكثين والقاسطين والمجاهد أعدائه الناصبين ..) .

 وأمّا السيدة زينب ع فمما خاطبت به يزيد (**أمن العدل يابن الطلقاء ؟! تخديرك حرائرك وإمائك وسوقك بنات رسول الله سبايا**) وقالت له (**وكيف يرتجى مراقبة ابن من لفظ فوه أكباد الأزكياء ، ونبت لحمه بدماء الشهداء؟؟ وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر**

إلينا بالشنف والشنان والأحن والأضعان) وقالت (**فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء**) .

ولقد خُصِّ بنو أمية في القرآن وبأكثر من آية :

» منها قوله تعالى : **وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا** [27].

جاء في تفسير العياشي[28] : عن أبي الطفيل ، قال : كنت في مسجد الكوفة ، فسمعت عليا عليه السلام يقول - وهو على المنبر - وناداه ابن الكواء وهو في مؤخر المسجد، فقال : يا أمير المؤمنين ! أخبرني عن قول الله : [**والشجرة الملعونة في القرآن**] ، فقال : **الأفجران من قريش ومن بني أمية** .

ورَوى عباد بن يعقوب عن شريك عن عاصم عن زر عن عبد الله ، قال رسول الله (صلى الله عليه - و آله - و سلم) : **إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه**[29] .

وذكر السيوطي في تفسيره المسمّى بالدر المنثور في ذيل تفسير قول الله عَزَّ و جَلَّ : { **... وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ**

---

[27] الإسراء 60

[28] تفسير العياشي 98/2 حديث 99

[29] فضائل الخمسة في الصحاح الستة 3 /299

وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ... } ، أن سعيد بن مسيب قال : رأى رسولُ الله (صلى الله عليه - و آله - و سلم) بني أمية يَنْزُون على منبره نزو القرد فساءه ذلك ، قال : وهذا قول ابن عباس في رواية عطا[30] .

» ومن الآيات ما جاء في سورة القدر، قوله تعالى **(خير من ألف شهر)** ، في تفسير عليّ بن إبراهيم رضي الله عنهما أنّ المراد من « ألف شهر » أيّام ملك بني أُميّة ليس فيها ليلة القدر[31] .

» تفسير علي بن إبراهيم : محمد الحمير ، عن أبيه ، عن محمد بن الحسين ومحمد بن عبد الجبار معا ، عن محمد بن يسار ، عن المنخل بن خليل ، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : **[وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار] يعني بني أمية**[32] **.**

» تفسير علي بن إبراهيم : جعفر بن أحمد ، عن عبد الكريم بن عبد الرحيم، عن محمد ابن علي ، عن محمد بن الفضيل ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : **[إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون]** ، قال عليه السلام : **نزلت في بني أمية ، فهم أشر خلق الله ، هم الذين كفروا في باطن القرآن فهم لا يؤمنون**[33] .

---

30 فضائل الخمسة في الصحاح الستة 304/3

31 تفسير القمي ج2 ص431

32 بحار الأنوار ج31 ص515

33 بحار الانوار ج31 ص512

وغيرها من الآيات المفسرّة ببني أمية والتي توضح جوانب الشر والكفر والطغيان عليهم لعائن الله .

والحمد لله رب العالمين ورزقنا الله وإياكم شفاعة أبي عبدالله الحسين عليه السلام